

(46)
مجموعة المائة بحث
كلمات حول الواقع الفلسطيني
صدر في :
2009م
بقلم الدكتور :
طارق عبد الحليم
مؤسسة الراية للإنتاج الإعلامي

كلمات حول الواقع الفلسطينيّ

1) التهدئة والمفاوضة والمصالحة ..في الواقع الفلسطينيّ

يتحدث كثير من كتابنا و"مفكّرينا" عن ضرورة الإرتفاع فوق الخلافات الشخصية وفوق جراح الماضي بين الإخوة الفلسطينيين، حتى يمكن أن تعود المياه إلى مجاريها ويقف الفلسطينيون يداً واحدة ضد العدو الصهيونيّ.

حديث تتقبله النفس ويدغدغ العاطفة ولكنه لا يرقي إلى مستوى العقل ولا يلامس أرض الواقع بحال من الأحوال. والسبب في هذا أن كتابنا و "مفكّرينا"، الذين يتحدثون هذا الحديث، إما إنهم لا يعرفون طبيعة الخلاف بين سلطة رام الله العباسية، وبين حكومة غزة الحماسية، أو يتجاهلون طبيعة هذا الخلاف لأمر في نفس يعقوب (مع الإعتذار لنبي الله يعقوب).

وحتى أُقرب الأمور للقارئ العزيز، فإنني أقرر بادءاً ذي بدأ بأن الخلاف في الساحة الفلسطينية-الإسرائيلية هو خلاف بين ثلاثة جبهات، الجبهة الإسرائيلية اليهودية، والجبهة الفلسطينية العلمانية اللادينية، والجبهة الفلسطينية الإسلامية.

فالجبهة الإسرائيلية اليهودية تتحدث عن "**تهدئة**" مع "الجبهة الفلسطينية الإسلامية" بقيادة حماس، وتتحدث عن "**مفاوضات**" مع "الجبهة الفلسطينية العلمانية اللادينية" بقيادة فتح العباسية، وهذه الأخيرة تتحدث عن "**مصالحة**" مع "الجبهة الفلسطينية الإسلامية" بقيادة حماس!

ثم أقرر كذلك أنّ الخلاف بين هذه الجبهات الثلاث متساو في عمقه واتساعه وأبعاده الأيديولوجية. "فالمصالحة" بين الجبهة اللادينية الفلسطينية وبين الجبهة الفلسطينية الإسلامية ليس بأقرب تحققاً على أرض الواقع من "التهدئة" بين الكيان الإسرائيلي وبين هذه الجبهة الأخيرة. بل أزعم أن تلك التهدئة هي أقرب للواقع من تلك المصالحة الحالمة، وهو ما ظهر إبان العدوان على غزة المسلمة من تعاون القوى اللادينية في كافة أنحاء بلاد المسلمين وعلى رأسها الجبهة الفلسطينية اللادينية ضد غزة.

ذلك أنّ الكيان الصهيونيّ – رغم جبنه وخداعه – إلا أنه كيان قائم فرض نفسه بالقوة، وعليه أن يراعي مصالح شعبه، فلا بأس عليه أن يبرم تهدئة مع المقاومة الفلسطينية الإسلامية، لكن الجبهة الفلسطينية العلمانية اللادينية هي بطبيعتها وجود ضعيف يحاول أن يجد لنفسه مكاناً على الساحة الحاكمة، بمساعدة النسبة التي تناصره من الفلسطينيين الذين اتخذوا العلمانية سبيلا. وبنفس المنطق، فإن "المفاوضات" بين اللادينيين الفلسطينيين وبين اليهود الصهاينة أقرب للواقع وأسهل تحققا من "المصالحة" بين الإسلاميين وبين اللادينيين. والحق أن الجبهة اللادينية الفلسطينية لا طلبات لها من العدو الفلسطينيّ أكثر من كلمات تحفظ بها ماء وجهها أمام بعض من ظل يحسب أن لها كرامة ووطنية من أتباعها من الفلسطينيين ممن تخلوا عن الإسلام ورضوا بالوطنية اللادينية بديلا، وهو ما يفسر خروج عباس يوم أمس بإشتراط وقف الإستيطان لبدء "المفاوضات"! حركة سياسية يُراد بها إثبات أن هذه الجبهة اللادينية لا تزال على قيد الحياة، وأن "المفاوضة" حقيقة واقعة كما أن "التهدئة" حقيقة واقعة.

كلّ من يعرف الفارق بين الأيديولوجية اللادينية التي تسعى لبناء حكومة عميلة أخرى على نهج الحكومات الخاسرة العميلة التي تعج بها المنطقة العربية، وبين الأيديولوجية الإسلامية التي تتبع نهج الله ورسوله ﷺ، وتحاول أن تبني شعباً ودولة ذات قوة وكرامة يعلم أن ليس هناك أي قدر مشترك بين الجبهتين، لا مصالحة، ولا قواسم مشتركة، ولا رتق للإنقسام، فالأمر أكبر من ذلك. الأمر أن لا مرجع مشترك بينهما، جبهة لادينية مرجعها هو المصلحة الشخصية وعالمها هو الدنيا وهدفها هو السلطة والبقاء على سدة الحكم، وجبهة مرجها هو شرع الله ورسوله، وعالمها يشمل الدنيا كطريق للآخرة، وهدفها سيادة دين الله في الأرض وصالح أبنائها من المسلمين.

هذا الفارق الهائل – لمن لم يلحظ من مفكرينا وكتابنا – هو ذات الفارق الذي تعاني منه الدول الإسلامية الأخرى التي لا يزال كثير من أبنائها على ولائه وحبه للإسلام، وإن عزف الكثير عن الإسلام الذي يحكم الحياة ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة، وكانوا – من حيث يعلمون أو لا يعلمون – اليد الباطشة للجبهة اللادينية الأوسع في أنحاء العالم الإسلاميّ.

2) التهدئة والمفاوضة والمصالحة

الطابور الخامس

قررنا فيما سبق الأطراف الثلاثة الذين تجري بينها المصالحة و المفاوضة و التهدئة، حسب موقع كل منهم من الآخر. ولكن يجب علينا بعد هذا البيان أن نوجه كلمة خاصة نهمس بها في آذان قيادات حماس، فإن صديقك من صَدَقَكَ لا من أغمض عن هفواتك وأخطائك. و حماس اليوم في موقع صعب بكل ما تحمله الكلمة من معان، فالأطراف المتصارعة معها أقوي إما بالعتاد والسيطرة على الأرض والموارد، وإما بالخيانة والقدرة على التلاعب بمقدرات المسلمين للوصول إلى سدة الحكم ولو كانت أطلالا بلقعا خرابا.

وما نهمس به في آذان قيادات حماس هو تساؤل عن ذلك الموقف الغامض من إيران ، وما أدراك ما إيران؟ ماذا وراء تلك الزيارات التي يقوم بها كبار مسؤولي حماس إلى إيران؟ ما هو مدي تغلغل النفوذ الرافضي في المصالح الفلسطينية؟ وما هي طبيعة الوعود التي قطعتها إيران لحماس، وفي مقابل ماذا؟ وهي علاقة لا نحسب أنها موهومة خاصة إذا قرنّاها بموقف الإخوان في مصر من المدّ الرافضيّ

أسئلة تحتاج إلى إجابة، نحن على يقين من أننا لن نحصل عليها في القريب العاجل لأمر أو لآخر، ولكن ما يجب علينا أن نحذّر حماس وقياداتها من تداعياته هو التعامل مع الرافضة أو إقامة تحالفات معهم تكون بمثابة حصان طروادة الذي يَلِجون منه إلى قلب الأمة السنَّية، أو طابوراً خامساً يعبث بعقيدة الأمة وثوابتها، وهو مخططهم ما بقي فيهم عرق ينبض، وهو ما رأينا آثاره في العالم السنيّ مؤخراً وما حذر منه عقلاء هذه الأمة العارفين بتاريخ الرافضة وخساسة أهدافهم.

نعم، خذلت المجموعة العربية الحاكمة غزة في أحلك المواقف، وغلّت يدها عن مساعدة المسلمين، بل وبسطت يد العون إلى الصهاينة ضد مسلمي غزة وقطعت عنهم، ولا تزال، الدواء والغذاء والكساء بما

يعرفه الجميع، ومما لا داع لتكراره لما يجلب من إشمئزاز النفس وإحباطها، كما تمالأت القوي العلمانية الفلسطينية على إخوانها وعشيرتها وأبناء جلدتها لتسقط الحكومة الوحيدة المنتخبة ديموقراطيا في الساحة العربية التي تعج بالفساد والطغيان والإنحطاط.

ولكن الأمر أن اليد التي تمدها إيران في هذا الموقف المظلم ليست يد العون والحماية بل هي يد الغبن والنكاية، وما موقفهم من سنيّ طالبان ببعيد. والرافضة لم ولن يخلصوا لسنيّ ابداً مهما كان الأمر، خذوها مني صريحة صحيحة. إنما هي إستراتيجيات يتحركون بها في العالم السنيّ لنشر أحابيلهم وباطلهم، ولو إستطاعوا لسحقوا الوجود السنيّ بكامله بما فيه حماس وقياداتها. فهؤلاء لا عهد لهم ولا أيمان، وهم يتلفعون برداء الإسلام ليدسوا من تحته السمّ في الدسم، إن كان فيما يقدمونه دسم إبتداءاً!

قد يكون التحرك "الحماسيّ" تجاه الرافضة من قبيل الحيلة السياسية لتخويف الحكومات العربية من إن رفع أيديهم عن الوضع المخزيّ في غزة سيكون من جرّائه لجوء أولئك إلى الحضن الرافضيّ، وجلب القوي الإيرانية إلى الجوار العربيّ، مما يحفز هذه الدول على إستمرار الجلوس على طاولة المفاوضات مع حماس. وهو تحليل غير مستبعد، ولكنه كذلك محفوف بالمخاطر لما ذكرنا من أن اليد الرافضية في هذا السيناريو هي العليا، وسيتقبل الرافضة أي كسب على أرض السنّة بأقل ما يمكنها أن تبذل في سبيله.

الأمر هنا، كما سبق أن ذكرنا وحذرنا، هو أمر عقيدة قبل كلّ شيء وبعد كلّ شيء، والبعد السياسيّ يجب أن يخضع للمنظور العقديّ دائما وعلى كلّ حال. ونسيان هذا البعد، أو تهميشه أو تطويعه لغيره ليس أولا من منهج أهل السنة بحال، كما لا ينشأ عنه خير ولا نجاح، وما تجربة الإخوان منا ببعيد!

فالحذر الحذر، يا إخوة الإسلام والجهاد في حماس، من طابور خامس ينخر في الجسد السنيّ الذي إهترأ أصلا من كثرة الفساد الذي يشيع بأنحائه، والله وحده المستعان فهو نعم المولي ونعم النصير.

3) **<u>الواقع الفلسطينيّ في ضوء المؤتمر السادس لحركة فتح</u>**

لم تكن النتائج التي تمخض عنها الإجتماع السادس لمركزية فتح مفاجأة لأحد، خاصة بعد أن سبقت ذلك المؤتمر تزكية محمود عباس لرئاستها، إذ بذلك تكرّس الإتجاه الذي يرضى - بل ويساعد – السيطرة اليهودية الكاملة دون مقاومة بأي شكل من إشكالها، إلا تلك الكلمات المزوقة الملفقة التي تتحدث عن الثورية والتحرر دون ذكر المقاومة بمعناها العرفيّ واللغويّ، التي تعني المقاومة المسلحة، ولا حتي التهديد بها! ثم جاءت النتائج لتؤكد هذا المصير بإنتخاب محمد دحلان – العميل اليهودي المعروف – كعضو في المركزية! ولسنا بحاجة إلى القول أن لجنة مركزية تجمع عباس ودحلان لا تحتاج كثير جهد لمعرفة إتجاهها دون اللجوء إلى اية بوصلة سياسية!

ويلزم لتقيّم الموقف الفلسطينيّ الراهن أن نأخذ بعين الإعتبار تلك التصريحات الأخيرة التي أطلقها عضو فتح فاروق القدوميّ، صاحب التاريخ الطويل في هذه المنظمة كرئيس دائرتها السياسية، في يوليو الماضي، عن مؤامرة دحلان وعباس مع السلطات الإسرائيلية لإغتيال عرفات لتمرير الأجندة الحالية والتي تقضي

بإنهاء خط المقاومة بشكل نهائيّ وتكريس الإستسلام للمخطط الإسرائيليّ الذي اعلن رفض التفاوض سلفاً! فإن هذه التصريحات تتفق إتفاقاً تاماً مع أي تحليل منطقيّ للواقع الفتحاوي الحاليّ، وتجمل في طياتها دليل صحتها.

ورغم أن منظمة فتح لم يكن لها توجه إسلاميّ في يوم من الأيام، بل، كما هو معروف، قد بني هيكلها على العلمانية اللادينية منذ تأسيسها، إلا أنها كانت، في عهد عرفات، لا تزال تسير بوقود الدفعة الأولي التي تأسست عليها، وهي المقاومة والتحرير، والتي كانت هي المسوّغ الوحيد لوجودها أصلاً، وهو الأساس الذي كان من الصعب على عرفات أن يحيد عنه حيدة تامة، لأنه رأي أنّ ذلك سيفقده ويفقد الحركة سبب وجودا وبقائها، فكان من اللازم أن يختفي عرفات من الصورة، وأن يتولى من هم أدني إنسانية وأعرق خيانة لإنهاء حالة الصراع الفلسطيني الصهيوني بالإستسلام الكامل التام وغير المشروط لأجندة الصهيونية بإستعباد الفلسطينيين في أرضهم، وتحويلهم إلى قوى عاملة لصالح اليهود حتى يتم القضاء عليهم جملة واحدة. وهي المؤامرة التي وقفت حركت حماس واستقلالها بغزة في سبيل تحقيقها بالسرعة والتعتيم المطلوبين. وكان قرار عقد المؤتمر دون حضور ربع اعضائه دليلا على التصميم على المضي في المؤامرة مهما كان الثمن من ناحية، وأنّ عقد هذا المؤتمر كان هو الحلّ الوحيد لتجاهل وجود حركة حماس وتأثيرها في الأحداث من ناحية أخرى.

والأمر الآن هو القوى التي تراهن عليه مجموعة عباس ودحلان لتمرير برنامجها، وهي تتركز في القيادات الفلسطينية اللادينية والعميلة، ومن وراء هذه القيادات قوى شعبية منها من هو مخدوع واهم، أو آمل حالم، ومنها من هو متسلق نفعيّ يرجو تحقيق كسب ماديّ. كذلك الرهان على القوى الصهيونية التي تعرف توجهات هذه المجموعة وتراهن بدورها عليها في عدم منح الفلسطينيين أي حقوق ضائعة سواء حق العودة أو القدس الشرقية التي رفضهما العدو الصهيوني رفضاً قاطعاً، وهو ما يعزز فكرة أنّ المجموعة العباسية الدحلانية قد رضيت بهذا التنازل فعلا، أو حتى وقف الإستيطان ومبدأ نزع الأرض الفلسطينية التي هي الورقة الأخيرة في سلسلة التنازلات التي يركز عليها العدو عمداً لتكون محوراً أحادياً لما يسميه المفاوضات.

خلاصة القول أنّ الوضع الفلسطينيّ لم يكن أضعف ولا أبعد عن التأثير في الحلّ منه في هذه المرحلة، والسبب في هذا ليس قوة حدثت في العدو الصهيونيّ، بل بسبب الخيانة والعمالة، وأساساً بسبب كراهة هذه المجموعة العلمانية للإسلام الذي هو الأيديولوجية الوحيدة التي يمكن أن تقف في وجه الأيديولوجية اليهودية الصهيونية الصليبية التي تريد بأهله السوء والدمار، فالدولة الدينية لا يقف في وجهها إلا دولة تقوم على العقيدة التي تحمى الأخلاق وتفضح الخيانة وتكشف العمالة. ولم يعد أمام الأحرار من الفلسطينيين، بعد خروج العرب تماماً من معادلة المقاومة، إلا الحفاظ على إسلامية غزة وتطويرها ومساعدتها على تجاوز محن الإنشقاقات الجانبية بين الإخوة الأشقاء في الإسلام للوقوف في وجه الإختراق العباسيّ الدحلانيّ.